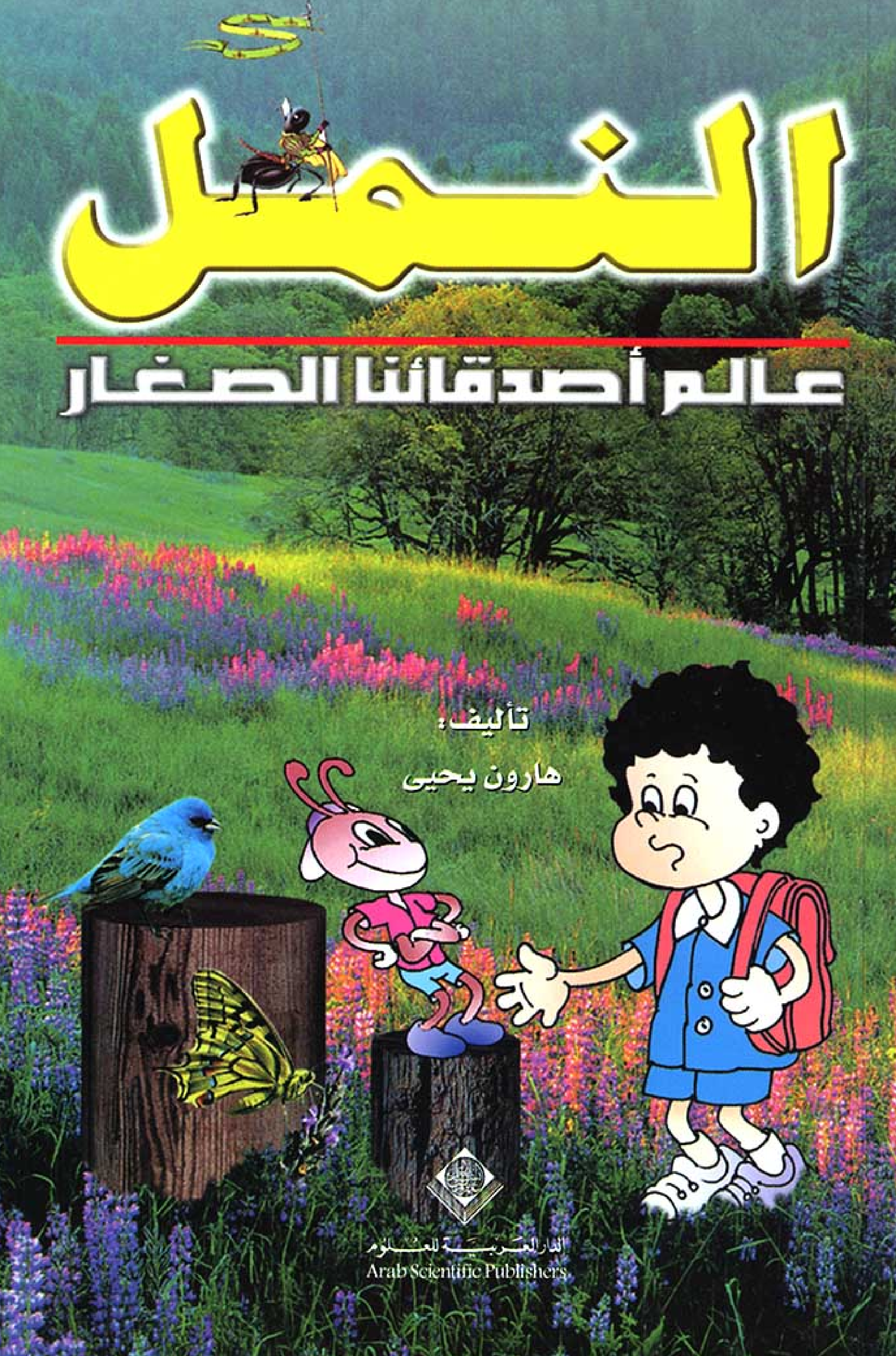
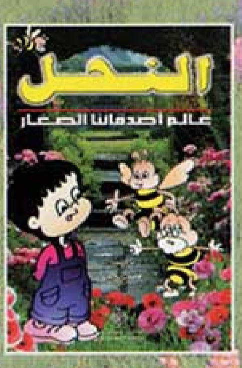
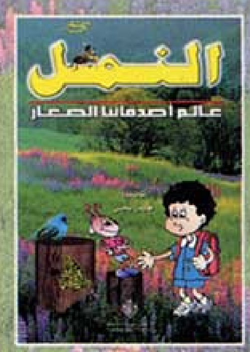


النمل
عالم أصدقائنا الصغار
تأليف:
هارون يحيى
الدار العربية للعلوم
Arab Scientific Publishers

تعرّف إلى عظمة الله في خلقه، من خلال تفحُّص أضعف مخلوقاته، الحشرات، والتي تشكّل طريقة تكوينها وتكاثرها وعيشها واستمراريتها شكلاً من الإعجاز الالهي. هذا الإعجاز يشكل درساً يومياً للانسان ليتعظ من روعة عطاء هذه المخلوقات الضعيفة ويتعلم منها في سعيه إلى قوته وفي علاقاته الإنسانية.

إنّ معرفة طريقة عيش الحشرات واسرار وجودها ليست مادة مسلية وممتعة فحسب، بل إنها تشكّل أمثولة مفيدة للكبار قبل الصغار.





الدار العربية للعلوم
Arab Scientific Publishers
لمزيد من المعلومات حول منشورات الدار العربية للعلوم، زوروا موقع الدار على شبكة الانترنت من خلال العنوان www.asp.com.lb حيث يمكنكم التسوق من موقعنا مباشرة!

ISBN 9953-29-524-7
9 789953 295244



عالمُ أصدقائنا الصغار

النـــمـــل

تأليف: هارون يحيى

الدار العربية للعلوم
Arab Scientific Publishers



يتوجّهُ عمرُ كلَّ يومٍ في طريقِهِ إلى المدرسةِ إلى حديقةِ المنزلِ المحاذيةِ للشّارعِ وينتظرُ لبرهةٍ. فَفي هذهِ الحديقةِ يعيشُ أحدُ أصدقائِهِ المميّزينَ جدّاً. لا أحدَ يعرفُ هذا الصّديقَ، ولكنّ عمرَ يحبُّهُ كثيراً. فهوَ لا ينسى أبداً زيارتَهُ ويستمتعُ برفقتِهِ جدّاً. وصديقه هذا فائقَ الذّكاءِ، يستطيعُ القيامَ بكثيرٍ منَ الأعمالِ الهامّةِ بالرّغمِ مِنْ حجمِهِ الصّغير. أضِفْ إلى أنَّهُ عاملٌ مجتهدٌ، يقومُ بعملِهِ على أكملِ

وجهٍ وفي الوقتِ المناسبِ، كما لو انَّهُ جنديٌّ في الجيشِ. ومعَ أنَّهُ لا يرتادُ المدرسةَ مثلَ عمرَ، غيرَ أنَّهُ يتمّمُ بنجاحٍ المهامَّ العديدةَ المسؤولَ عنْها في حياتِهِ.

لا بدَّ أنَّكَ تتساءلُ مَنْ يكونُ هذا الصديقُ، أليسَ كذلكَ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

يضم هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي

The World of Our Little Friends
THE ANTS

حقوق الترجمة العربية مرخص بها قانونياً من الناشر

GOODWORD BOOKS
Nizamuddin West Market, New Delhi 110 013

ISBN 9953-29-524-7

الطبعة الأولى
1423 هـ - 2002 م


الدار العربية للعلوم
Arab Scientific Publishers

عين التينة، شارع ساقية الجنزير، بناية الريم
هاتف: 860138 - 785108 - 785107 (1-961)
فاكس: 786230 (1-961) ص.ب: 5574-13 بيروت – لبنان
البريد الالكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الانترنت: http://www.asp.com.lb

تمت الطباعة في:
مطبعة المتوسط
هاتف: 860138 (1-961) – بيروت – لبنان

إنَّ صديقَ عمرَ السرّيَّ هوَ في الواقعِ ذكرُ نملٍ صغيرٍ يستطيعُ القيامَ بأعمالٍ خارقةٍ.



ولكنْ، ربّما لمْ يسبقْ لكُم أنْ سمعْتُم عنِ المهارةِ والذّكاءِ اللّذينِ يتمتعُ بهما النَّمل. لا بلْ قدْ يظنُّ بعضُكمْ أنَّها ليستْ سوى حشراتٍ صغيرةٍ تتجوّلُ طيلةَ النهارِ مِن دونِ القيامِ بأيِّ عَمَلٍ. ولكنَّ هؤلاءَ هُم على خطأ، لأنَّ النَّمل، شأنُهُ شأنُ كثيرٍ منَ المخلوقاتِ الحيّةِ، يملكُ حياةً خاصّةً بهِ هوَ أيضاً.

وقدْ سنحَتِ الفرصةُ لِعمرَ أنْ يستكشفَ هذا العالمَ الصّغيرَ عبرَ صديقٍ لَهُ. وهذا واحدٌ منَ الأسبابِ التي تدفعُهُ إلى زيارتِهِ باستمرارٍ والاستمتاعِ بالحديثِ معَهُ كثيراً.

والواقعُ أنَّ ما يتعلّمُهُ عمرُ مِنْ صديقِهِ عنْ عالمِ النَّملِ يثيرُ فيهِ دهشةً كبيرةً. لذا، فهوَ يرغبُ بمشاركةِ كلِّ ما يتعلّمُهُ عنْ مهاراتِ صديقِهِ الصّغيرِ وذكائِهِ وكلِّ خصائلِهِ المميَّزةِ معَ باقي الناسِ.

لا بدَّ أنَّكَ تتساءلُ ما الذي يثيرُ عجبَ عمرَ ولِمَ أدهشَهُ عالمُ النَّمل

إلى هذا الحدِّ. إنْ أردْتَ أنْ تعرفَ، ما عليكَ سوى متابعةِ القراءةِ...

يفوقُ عددُ النمل عددَ أفرادِ أيٍّ منَ المخلوقاتِ الحيّةِ. فَمقابلَ كلِّ سبعِ مائةِ مليونِ نملةٍ تأتي إلى هذا العالمِ، يولدُ أربعونَ طفلاً بشريّاً فقطْ. بتعبيرٍ آخرَ، يفوقُ عددُ النمل عددَ الكائناتِ البشريّةِ في العالمِ.

وعائلاتُ النَّملِ كبيرةٌ جدّاً أيضاً. فعددُ أفرادِ عائلتِكَ مثلاً قدْ لا يتجاوزُ أربعةَ أو خمسةَ أشخاصٍ. أمّا عائلةُ النَّملِ فتضمُّ الملايينَ من النمل. فماذا لو كنتَ تملكُ ملايينَ الأخوةِ والأخواتِ، هلْ كنتُم لِتسكنُوا في منزلٍ واحدٍ؟ بالطبعِ لا!

ولا تتوقّفُ عجائبُ النمل عندَ هذا الحدِّ. فَمعَ أنَّ ملايينَ منْها تعيشُ معاً، إلاّ أنَّها لا تعاني مِنَ المشاكلِ أوِ الخلافاتِ بينَ بعضِها بعضاً ولا مِنَ الفوضى. بلْ هي تعيشُ حياةً يسودُها النّظامُ ويحترمُ فيها الجميعُ القوانينَ.

هكذا تقومُ بعضُ عائلاتِ النَّملِ بالخياطةِ، بينَما تعمدُ أخرى إلى زرعِ الطّعامِ، تماماً كالمزارعينِ، ويديرُ بعضُها مزارعَ صغيرةً يربّي فيها حيواناتٍ أصغرَ حجماً. فمثلَما يربّي الإنسانُ الأبقارَ ويستعملُ حليبَها، تقومُ النمل هيَ أيضاً بتربيةِ قملِ النّباتِ الصّغير وتستعملُ حليبَهُ.

ولكنْ، لنستمعَ الآنَ إلى عمرَ، فَلديْهِ ما يقولُهُ عنْ عالمِ النَّملِ:



فصيلة النمل الحائكةُ هي خيّاطاتٌ ماهراتٌ. فَهيَ تجمعُ الأوراقَ بدفعِها منَ الجانبيَنِ ثمَّ تحيكهُا معاً. هكذا تصنعُ بيتاً جميلاً لَها.



يقومُ النملُ الحارسُ بِحراسةِ العشِّ، وهوَ ينفّذُ هذا العملَ بِنجاحٍ تامٍّ. وتعملُ باقي النمل بِكدٍّ هيَ أيضاً، فَتتولَّى جميعَ أعمالِ العشِّ.

عمرَ: رأيتُهُ للمرّةِ الأولى حينَ كانَ يُخرِجُ رأسَهُ الصّغيرَ منَ الأرضَ. إذْ لفتَ نظرِي رأسُهُ الذي كانَ أكبرَ مِنْ جسمِهِ بقليلٍ. فَتساءلْتُ عنْ سببِ ذلكَ وَرُحْتُ أراقبُ صديقِيَ الدقيقَ. كانَ رأسُهُ الكبيرُ الذي يَعلُو جسدَهُ الصّغيرَ يساعدُهُ على حراسةِ مدخلِ العشّ. هلْ تودُّ أنْ تعرفَ كيفَ؟ إنَّهُ كان يتحقّق فيما إذا كان النمل التي يحاولُ دخولَ العشِّ ينتمِي إلى عائلَتِهِ أمْ لا، ويمنعُ دخولَه إنْ كانَ غريبٌ عنْهُ.

حالَما رأيْتُهُ، تقدّمْتُ منْهُ وسألْتُهُ عمَّا يحدثُ في الدّاخلِ. فَفهِمَ صديقِي الصّغيرُ فضولِيَ وبدأَ يكشفُ لِيَ أسرارَ هذا العالمِ الغريبِ. فَأكثرُ ما كانَ يُثيرُ تساؤلِي هوَ كيفَ يتعرّفُ النملُ الكبيرُ الرّأسِ على النمل الآخر التي يسكنُ معَه في العشِّ نفسِه ويسمحُ لَها بالدّخولِ.

ذكرُ النَّمل: دعْني أوّلاً أخبرُكَ يا عمرُ بأنَّنا نسمِّي عائلاتِنا "مُستَوطَناتٍ" أو "قرًى". بتعبيرٍ آخرَ، نحنُ نعيشُ في مجمّعاتٍ تُعرَفُ بالمستوطناتِ. ويَسهُلُ على النَّملةِ أنْ تعرفَ ما إذا كانَتِ الأخرى تنتمِي إلى المستوطنةِ نفسِها أمْ لا، وذلكَ بلمسِ جسدِ النَّملةِ الأخرى بقرنَيْ استشعارٍ (قرنَينِ دقيقَينِ يعلُوانِ رأسِها) يسمحانِ لَها بتمييزِ الغرباءِ بفضلِ الرّائحةِ التي تُميِّزُ أفرادَ كلِّ مستوطنةٍ. فإنْ كانَتِ النَّملةُ غريبةً، نمنعُها منَ الدّخولِ. وقدْ نُضطرُّ في بعضِ الأحيانِ إلى استعمالِ القوّةِ لإبعادِها.

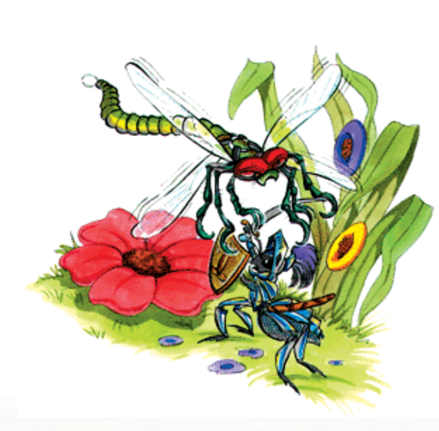




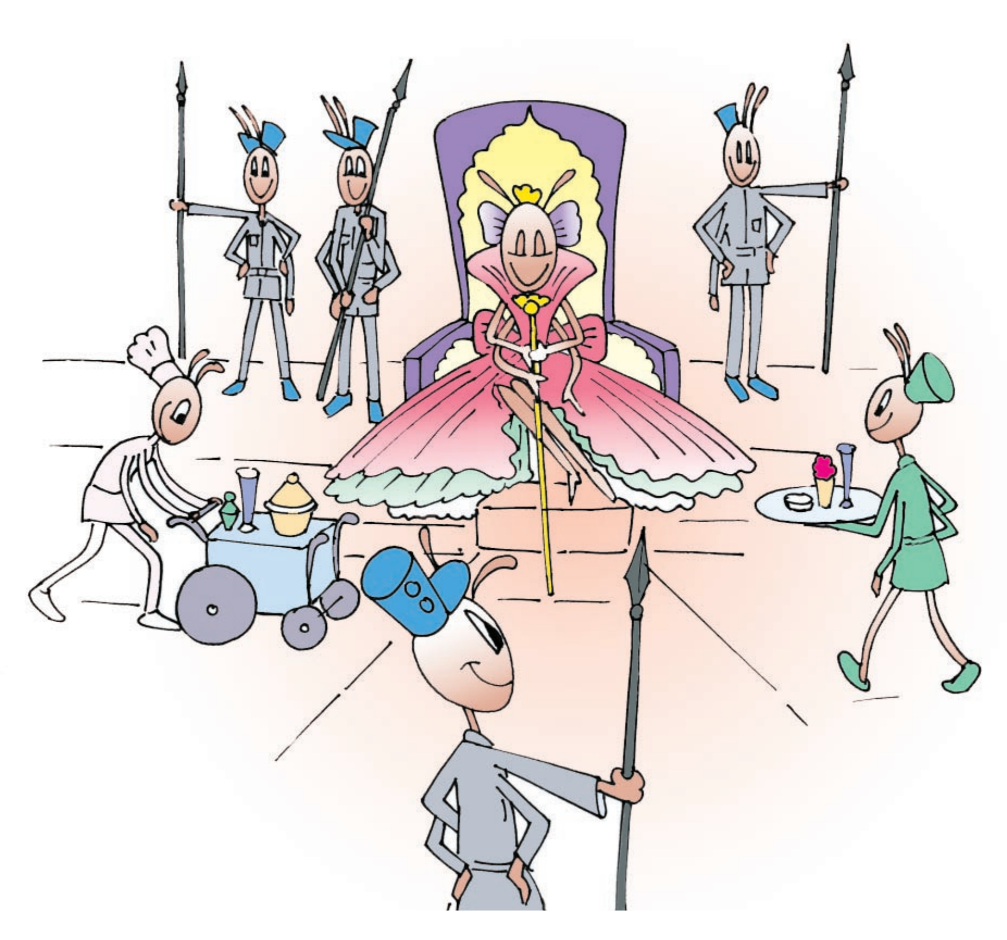
نملتَان "تتحدّثَان" بلغةِ اللّمسِ.

يمنعُ النَّملُ الغرباءَ مِنْ دخولِ أعشاشِهِ لأنَّ النمل الغريبِ يهدّدُ أمنَهُ. وَهوَ لا يتردّدُ في الدّخولِ معَه في صراعٍ لِحمايةِ عشّهِ وأصدقائِهِ.



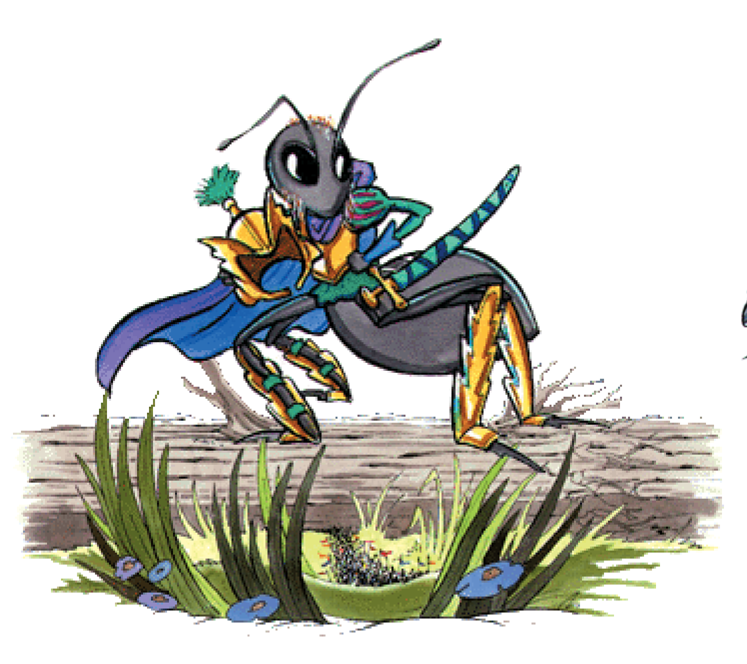






تفاجأَ عمرُ لِما سمعَهُ عنْ نظامِ الأمنِ الكاملِ الذي يتّبعُهُ النَّملُ وتساءلَ كيفَ يجرؤُ النملُ الغريبُ على محاولةِ دخولِ المستوطنةِ. وحينَ سألَ صديقَهُ عنْ ذلكَ ابتسمَ لَهُ وأخبرَهُ أنَّهُ ثمّةَ أشياءُ كثيرةٌ أخرى ستفاجئُهُ.

ثمَّ أضافَ ذكرُ النَّمل: "دعْنِي أَرْوي لكَ الآنَ ما يدورُ داخلَ مَسكَنِنا، فأنْتَ متلهِّفٌ للتَّعرّفِ عليهِ. تتألّفُ مستوطناتُنا مِنْ ملكةِ النَّملِ، وذكورِ النَّملِ، والجنودِ والنَّملِ العاملِ.





يملكُ النملُ مهامّاً
عديدةً، وجميعُها يعملُ
بِكدٍّ مِنْ دون كَلَلٍ.



تحافظُ الملكةُ وذكورُ النَّملِ على استمرارِ نوعِنا. فالملكةُ هيَ أكبرُ حجماً منَّا جميعاً، ومهمّةُ الذّكورِ هيَ جعلُ الملكةِ تنجبُ نملاً جديداً. أمّا مجموعةُ الجنودِ، فَهي مسؤولةٌ عَنْ حمايةِ المستوطنةِ، كما تقومُ بالصيدِ وإيجادِ أماكنَ جديدةٍ لتكوينِ الأعشاشِ. وتتألّفُ المجموعةُ الأخيرةُ منَ النَّملِ العاملِ، وهيَ جميعُها نملٌ أنثويةٌ عقيمةٌ، أيْ أنَّها لا تستطيعُ إنجابَ نملٍ جديدٍ .

وتقومُ مهمّتُها على العنايةِ بالملكةِ وأطفالِها وعلى تنظيفِهما وإطعامِهما، فضلاً عنْ تولّي جميعِ الأعمالِ الأخرى في المستوطنةِ. فهيَ تبني أروقةً جديدةً في العشِّ وتبحثُ عنِ الطّعامِ وتنظّفُ العشَّ. وينقسمُ النملُ العاملُ والجنودُ بدورِها إلى مجموعاتٍ أصغرَ عدداً. فَمنْها النَّملُ المنجبُ والنَّملُ البنّاءُ والنَّملُ الباحثُ عنِ الطّعامِ. ولكلِّ مجموعةٍ وظيفةٌ مختلفةٌ. فبينَما تتولَّى إحدى المجموعاتِ صدَّ الأعداءِ أوِ الصّيدِ، تقومُ مجموعةٌ ثانيةٌ ببناءِ الأعشاشِ وثالثةٌ بأعمالِ التّنظيفِ والإصلاحاتِ في العشِّ."

وفيما كانَ صديقُ عمرَ الصّغيرُ يشرحُ لَهُ كيفيَّةَ سيرِ هذهِ الأمورِ، أنصتَ إليهِ عمرُ باستغرابٍ ثمَّ سألَهُ: "ألا تشعرُ أبداً بالمللِ أثناءَ وقوفِكَ على مدخلِ العشِّ طيلةَ النهارِ؟ وما هيَ وظيفتُكَ في العشِّ بالتّحديدِ؟"

فأجابَهُ ذكرُ النَّملِ: "إنَّني عاملٌ أنا أيضاً، ووظيفَتي هيَ الحراسةُ. وكما تَرى، فإنَّ حجمَ رأسِي الكبيرَ يسدُّ مدخلَ العشِّ. أنا سعيدٌ بالمقدرةِ التي أملكُها وأنفّذُ عملِي بمتعةٍ كبيرةٍ منْ دونِ أنْ أشعرَ بالمللِ، بلْ على العكسِ، أحسُّ بالسعادةِ وأنا أحمِي أصدقائِيَ منَ الأخطارِ."



نملٌ عاملٌ
نشيطٌ تقومُ
بِأعمالِها.

ذُهِلَ عمرُ لِما سمعَهُ. فالنَّملُ يعملُ طيلةَ الوقتِ لمساعدةِ الآخرينَ منْ دونِ التّفكيرِ بنفسِهِ أوْ مواجهةِ أيَّةِ مشاكِل. إنَّهُ أمرٌ يصعبُ حتَّى على الإنسانِ أحياناً.

وباستطاعةِ عمرَ الآنَ أنْ يستنتجَ بسهولةٍ بأنَّ أعمالَ العشِّ مقسّمةٌ بشكلٍ منظّمٍ بينَ النمل. فَمِنَ الواضحِ أنَّ حياةَ النَّملِ بالغةُ التنظيمِ وأنَّ النَّملَ ليسَ أنانيّاً على الإطلاق. ثمَّ تساءلَ ما إذا كانَتِ النّزاعاتُ تقعُ أحياناً بينَ النمل عندَ ادّعاءِ أحدِها بأنَّهُ أفضلُ أوْ أقوى منْ غيرِه. ولكنَّ صديقَهُ أكّدَ لَهُ بأنَّ ذلكَ لمْ يسبقْ أنْ حدثَ يوماً، وأضافَ:

"نحنُ يا عمرَ عائلةٌ كبيرةٌ جدّاً. ولا وجودَ للغيرةِ أوِ المنافسةِ أوِ الطّموحِ بينَنا، بلْ نعكفُ على مساعدةِ بعضِنا بعضاً على الدوامِ ونبذلُ جهدَنا لخدمةِ المستوطنةِ. فالمستوطنةُ قائمةٌ على التّضحيةِ. لذا، فإنَّ كلَّ نملةٍ تفكّرُ بمصلحةِ أصدقائِها أوّلاً، ومِنْ ثَمَّ نفسُها. فعلى سبيلِ المثالِ، عندَ نقصِ الطّعامِ في المستوطنةِ،



يتحوّلُ النملُ العاملُ فوراً إلى نملِ "مغذّي" ويبدأُ بإطعامِ بقيةِ النمل منَ الطّعامِ المخزّنِ في أمعائه الاحتياطيةِ. وحينَ يزولُ النّقصُ، فإنَّه يتحوّلُ ثانيةً إلى نملٍ عاملٍ.

وقدْ سمعْتُ الناسَ يتحدّثُون عنْ وجودِ تنافسٍ بينَ المخلوقاتِ الحيّةِ في الطّبيعةِ. ولكنْ إيّاكَ أنْ تصدّقَ ما يقولون، فَنحنُ ندركُ جيّداً بأنَّ التعاونَ هوَ سرُّ النّجاحِ."

ولاحظَ عمرُ أنَّ ما أخبرَهُ بِهِ صديقُهُ عنْ نفسِهِ وعن مستوطنَتِهِ هوَ مثالٌ على ذلكَ. وكانَ سعيداً لمعرفتِهِ بأنَّ الله عزَّ وجلَّ خلقَهُ مجرّداً منَ الأنانيّةِ، مُحِبّاً للمساعدةِ ومُولعاً بأصدقائِهِ. وبعدَما سمعَ حديثَ ذكرِ النَّملِ، قرّرَ جعلَ هذهِ المخلوقاتِ مثالاً لَهُ في التّعاونِ ليكونَ إنساناً طيّباً محبوباً منَ اللهِ.

انتبهَ عمرُ أنَّ الوقتَ قدْ تأخّرَ وأنَّ عليهِ الذهابَ إلى المدرسةِ. فاستأذنَ مِنْ صديقِهِ مؤكّداً لَهُ بأنَّهُ سيعودُ لزيارتِهِ في اليومِ التّالي.



عادَ عمرُ في اليومِ التّالي إلى المكانِ نفسِهِ وانتظرَ صديقَهُ الصّغيرَ الذي أطلَّ علَيْهِ بعدَ بضعِ دقائقَ. فأخبرَهُ بأنَّهُ انتظرَ بفارغِ الصّبرِ حلولَ الصّباحِ لرؤيتِهِ ثانيةً. وذكّرَهُ بوعدِهِ لَهُ بإخبارِهِ ما يجري داخلَ العشِّ. فراحَ ذكرُ النَّملِ يصفُ لَهُ مسكنَهُ قائلاً:

"بالرّغمِ مِنْ كونِنا حشراتٍ صغيرةً، إلاَّ أنَّ عشَّنا كبيرٌ للغايةِ، وكأنَّهُ ثكنةٌ لجيشٍ كبيرٍ. ويستحيلُ تماماً على الغرباءِ دخولُهُ لِوجودِ حرّاسٍ مثلِي على المداخلِ، كما سبقَ وأخبرْتُكَ.

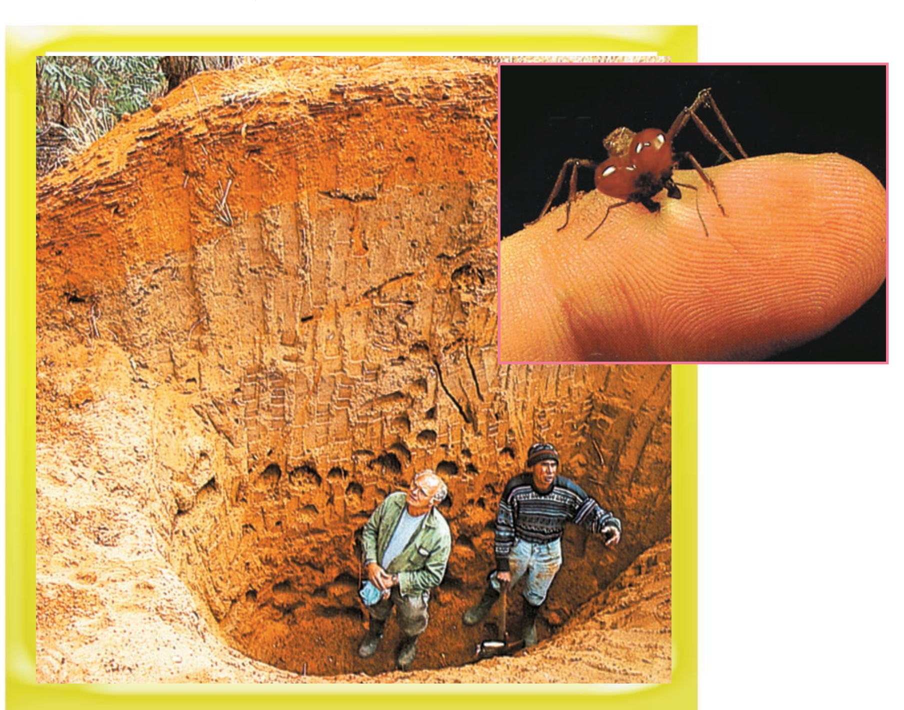
أمّا الدّاخلُ، فيسودُهُ نظامٌ دقيقٌ ونشاطٌ مستمرٌّ. ذلكَ أنَّ آلافاً، لا بلْ ملايينَ منَ الجنودِ والنمل العامل يقومُ بواجبِه بنظامٍ بالغٍ. والواقعُ أنَّ بناءَنا ملائمٌ جدّاً للعملِ في الدّاخلِ. فثمّةَ أقسامٌ خاصّةٌ لكلِّ عملٍ، وهو مصمَّم بطريقةٍ تتيحُ للنملِ العاملِ والجنودِ العملَ بأسهلِ الطرقِ.

منْ ناحيةٍ أخرى فإنَّنا نفكّرُ بكلِّ احتياجاتِنا ونحنُ نصممُ البناءَ. فالمسكنُ يحتوِي مثلاً على طوابقَ تحتَ الأرضِ تسمحُ بوصولِ جزءٍ محدودٍ منْ نورِ الشّمسِ. ولكنْ ثمّةَ أقسامٌ نحتاجُ فيها إلى طاقةِ الشّمسِ. لذا فإنَّنا نبنيها في الطّوابقِ العُليا التي تتلقّى نورَ الشّمسِ مِنْ أوسعِ زاويةٍ ممكنةٍ. وفي المستوطنةِ أقسامٌ أخرى يجبُ أنْ تظلَّ على اتصالٍ مستمرٍّ ببعضِها بعضاً، فنبنِيها قريبةً من بعضِها البعضَ بحيثُ يتمكن النملُ منْ التواصلِ بسهولةٍ. أمّا المخزنُ، الذي نحتفظُ

فيهِ بالموادِّ الفائضةِ، فإنَّنا نبنيهِ كقسمٍ مستقلٍّ، في إحدى جهاتِ المبنى. وتقعُ غرفُ المؤونةِ التي نخزِنُ فيها الطّعامَ في أماكنَ يسهلُ الوصولُ إليها. بالإضافةِ إلى ذلكَ يتوسّطُ البناءَ قاعةٌ كبيرةٌ نتجمّعُ فيها في مناسباتٍ خاصّةٍ."



تُظهرُ الصّورةُ السفلى قريةً تحتَ الأرضِ أقامَها النّملُ. مِمّا يثيرُ الدّهشةَ أنَّ هذهِ الحشراتِ قادرةٌ، بالرّغمِ مِنْ صغرِ حجمِها، على بناءِ قرًى كبيرةٍ كهذهِ.





1. نظامُ دفاعٍ هوائيٍّ 2. غرفةٌ دفيئةٌ 3. المدخلُ الرئيسيُّ والمداخلُ الجانبيّةُ 4. غرفٌ جاهزةٌ 5. مقبرةٌ للتّخزينِ 6. غرفةُ الحراسةِ 7. التّرسُ الواقي الخارجيُّ 8. غرفةُ الحضانةِ 9. مخزنُ اللّحومِ 10. مخزنُ الحبوبِ 11. غرفةُ حضانةٍ لِليَرقاتِ 12. غرفةُ الإشتاءِ 13. غرفةُ التّدفئةِ المركزيّةِ 14. غرفةُ حَضنِ البيوضِ 15. الغرفةُ الملكيّةُ...

لا شكَّ بأنَّ النمل عاجزٌ عنِ التّخطيطِ لِكلِّ هذهِ التّفاصيلِ واستنباطِها. فَاللهُ هوَ الذي يُلهمُها القيامَ بِذلكَ.

حينَ سمعَ عمرُ كلَّ هذهِ التفاصيلِ سألَ صديقَهُ الصّغيرَ: ″هلْ يقومُ النملُ فعلاً بكلِّ هذهِ الأعمالِ؟ فأنا لَمْ أكنْ أعلمُ بأنَّ النملَ قادرٌ على العملِ مثلَ المهندسينَ والمعماريّينَ المهرةِ. فالإنسانُ عاجزٌ عنْ تشييدِ بناءٍ كهذا ما لمْ يصرفْ سنواتٍ عديدةٍ في الدّراسةِ والعملِ الدؤوبِ. فهلْ يتلقَّى النملُ تعليماً منْ هذا النوعِ هو أيضاً؟ كانَتْ إجابَةُ ذكرِ النَّملِ تحملُ مزيداً منَ الحقائقِ المذهلةِ عنْ أقرانِهِ:

″ لا يا عمرَ. جميعُنا يملكُ هذهِ المهاراتِ بالفطرةِ. وما مِنْ أحدٍ يُعلِّمُنا إيَّاها، بلْ نعرفُ تماماً ما علَيْنا القيامُ بِهِ وفي أيِّ وقتٍ. وهذا ليسَ كلَّ شيءٍ. فما لديَّ سيدهشُكَ أكثرَ.

البيتُ الذي يبنيهِ
النملُ ليسكنَ فيهِ هوَ
أشبهُ بالقصرِ
بالنّسبةِ إليه.





فكما أخبرْتُكَ منْ قبلُ، مسكنُنا نحنُ كبيرٌ جدّاً بالمقارنةِ معَ حجمِنا. ولكنْ، بالرّغمِ منْ ذلكَ، يسودُهُ الدِّفءُ بدرجةٍ متساويةٍ. فالأعشاشُ مزوّدةٌ بنظامِ تدفئةٍ مركزيّةٍ متقدمٍ يجعلُ درجةَ الحرارةِ ثابتةً طيلةَ اليومِ. ولضمانِ ذلكَ، فإنَّنا نفرشُ سطحَ البناءِ بموادَّ شتَّى تمنعُ دخولَ الحرارةِ إليهِ. وبهذهِ الطّريقةِ نقِي أنفسَنا منَ الهواءِ البارِدِ شتاءً ومنَ الهواءِ الحارِّ صيفاً. هكذا نحافظُ على حرارةٍ ثابتةٍ باستمرارٍ."

لا شكَّ بأنَّ عمرَ ما كانَ ليصدقَّ أنَّ النمل قادرٌ على القيامِ بجميعِ هذهِ الأعمالِ لولا لقائِهِ صديقَهُ الصّغيرَ. فقالَ لَهُ: "قبلَ أنْ تخبرَني بكلِّ ذلكَ لكنْتُ أجبْتُ بشكلٍ مختلفٍ تماماً لو انَّ أحداً أخبرَني بتفاصيلِ تصميمِ العشِّ وسألَني عن بانيهِ. لكنْتُ أجبْتُ



أنَّ بناءَ عشٍّ كهذا يتطلّبُ أدواتٍ دقيقةً وعملاً دؤوباً منْ قِبَلِ أشخاص يتمتّعُون بكفاءةٍ عاليةٍ. ولوْ قِيلَ ليَ بأنَّ هذا البناءَ المعقّدَ لمْ يشيّدْهُ أناسٌ متعلِّمونَ، بلْ نملٌ صغيرٌ، ما كنتُ لأصدّقَ ذلكَ في الواقعِ."

وفيما كانَ عمرُ يستمعُ إلى حديثِ ذكرِ النَّملِ، خطرَتْ في بالِهِ أفكارٌ عديدةٌ. فقدْ صارَ يظنُّ بأنَّ هذهِ المخلوقاتِ الصّغيرةَ هيَ أكثرُ مهارةً منَ الإنسانِ، ممَّا غيَّرَ نظرتَهُ إليها. وفهمَ بأنَّ النملَ هوَ منْ مخلوقاتِ اللهِ، وأنَّ الإلهام الذي يأتِيه منَ الله عزَّ وجلَّ في كلِّ لحظةٍ هوَ الذي يملِي عليه ما يفعلُ. ولولاهُ ما كانَ ليتمكّنَ منَ القيامِ بعملِهِ بنجاحٍ.



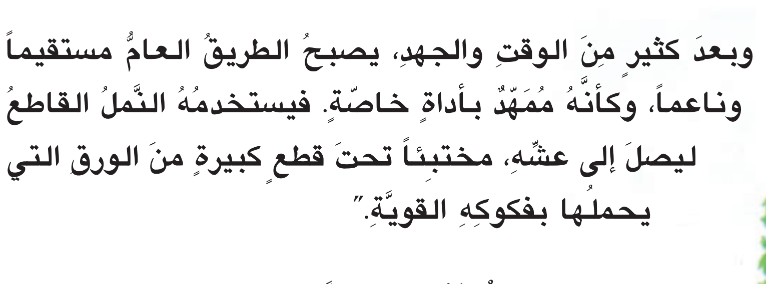
وبينما كانَتْ هذهِ الأفكارُ تجولُ في ذهنِ عمرَ، استمرَّ ذكرُ النَّملِ بالحديثِ، فازدادَ اهتمامُ عمرَ وتحمّسَ لطرحِ جميعِ الأسئلةِ التي جالَتْ في رأسِهِ. وبدأَ على الفورِ بأوّلِ سؤالٍ خطرَ في بالِهِ. فقدْ سبقَ لَهُ أنْ سمعَ بِأنَّ النَّملَ يعملُ مثلَ المزارعين، فسألَ صديقهُ كيفَ يتمكّنُ النَّملُ، بالرّغمِ منْ صغرِ حجمِهِ، منْ زراعةِ الأرضِ منْ دونِ أيّةِ أدواتٍ، وهوَ أمرٌ يعجزُ الإنسانُ نفسُهُ عنْ القيامِ بهِ؟

فأجابَ ذكرُ النَّملِ: "دعْنِي أخبرُكَ أمراً آخرَ عنَّا نحنُ النمل، وسأجيبُ بذلكَ عنْ سؤالِكَ بسهولةٍ أكبرَ. فمعَ أنَّنا نبدُو جميعاً متشابهينَ، إلاّ أنَّنا ننقسمُ إلى مجموعاتٍ عديدةٍ ومتنوّعةٍ وفقاً لطريقةِ حياتِنا وشكلِنا. وفي الواقعِ، ثمّةَ ثمانيةُ آلافٍ وثماني مائةِ نوعٍ مختلفٍ مِنَ النمل، ولكلِّ نوعٍ شكلٌ يميّزُهُ عنِ الآخَرِ. والنَّملُ المزارعُ هوَ واحدٌ مِنْ هذهِ الأنواعِ، وهوَ يُعرفُ أيضاً بالنَّملِ "القاطعِ"، أيِ النَّملِ الذي يقطعُ الأوراقَ.

ومِنْ عادةِ النملِ هذا أن يحملَ قِطعَ الأوراقِ على رأسِه. لهذا السّببِ، فإنَّه يمهِّدُ الطّريقَ أوّلاً لكَي تتمكّنَ مِنْ التنقّلِ بسهولةٍ. هكذا تبدو الطّريقُ التي تسلكُها إلى العشِّ أشبهَ بطريقٍ عامٍّ مصغّرٍ يعبرهُ النملُ ببطءٍ فيجمعُ كلَّ الأغصانِ وقطعِ الحصى الصّغيرةِ والأعشابِ والنّباتاتِ البرّيّةِ ويزيلُها مِنْ أمامِه. هكذا تصبحُ الطّريقَ نظيفةً ليمشي عليها بسهولةٍ.



نملٌ قاطعٌ يقصُّ الأوراقَ بِمهارةٍ وعنايةٍ كبيرتَينِ.



وبعدَ كثيرٍ مِنَ الوقتِ والجهدِ، يصبحُ الطريقُ العامُّ مستقيماً وناعماً، وكأنَّهُ مُمَهّدٌ بأداةٍ خاصّةٍ. فيستخدمُهُ النَّملُ القاطعُ ليصلَ إلى عشِّهِ، مختبِئاً تحتَ قطعٍ كبيرةٍ منَ الورقِ التي يحملُها بفكوكِهِ القويَّةِ."

عمرُ: أَقُلْتَ بأنَّهُ يختبئُ تحتَ الأوراقِ؟ ولكنْ لِمَ يشعرُ النَّملَ القاطعُ بالحاجةِ إلى الاختباءِ تحتَ الورقِ؟

ذكرُ النَّملِ: على النَّملِ القاطعِ أنْ يلزمَ الحذرَ أحياناً. فالنَّملُ القاطعُ المتوسطُ الحجمِ مثلاً يُمضي طيلةَ اليومِ تقريباً خارجَ العشِّ، حاملاً ورقَ الشّجرِ. ومنَ الصّعبِ عليهِ أنْ يحمِيَ نفسَهُ أثناءَ قيامِهِ بِهذا العملِ لأنَّهُ يحملُ الورقَ بفكوكِهِ التي يستعملُها عادةً للدّفاعِ عنْ أنفسِهِ.

عمرُ: ما دامَ النَّملُ القاطعُ عاجزاً عنِ الدّفاعِ عنْ أنفسِهِ، مَنِ الذي يؤمّنُ لّهُ الحمايةَ إذاً؟

1. يقطِّعُ النملُ الأوراقَ التي يحضرُها إلى العشِّ إلى أجزاءٍ صغيرةٍ.
2. ويمضغُ الأجزاءَ لِيحصلَ على عجينةٍ .
3. ثمَّ تمدُّ العجينةَ على قاعدةٍ منَ الأوراقِ الجافّةِ في غرفٍ جديدةٍ.
4. يضعُ النملُ بعضاً منَ الفطرِ الذي يجلبُهُ مِنْ غرفٍ أخرى فوقَ هذهِ العجينةِ.
5. مجموعةٌ نشيطةٌ منَ النملِ تنظّفُ الحديقةَ وتزيلُ جميعَ الموادِّ غيرِ اللاّزمةِ.



ذكرُ النَّملِ: يكونُ النملُ العاملُ القاطعُ مصحوبٌ دوماً بعمّالٍ أصغرَ حجماً. فتصعدُ مجموعةُ العمّالِ على سطحِ الأوراقِ التي يحملُها النملُ القاطعُ للقيامِ بالمراقبةِ. وعندَ مواجهةِ أيِّ اعتداءٍ، تتولَّى حمايةَ أصدقائِها بالرّغمِ مِنْ صغرِ حجمِها.

عمرُ: هذا مثالٌ آخرُ مثيرٌ للدّهشةِ عنِ التّضحيةِ بالذّاتِ. ولكنَّنِي أرغبُ بمعرفةِ أمرٍ آخرَ. لماذا يستعملُ النَّملُ القاطعُ هذهِ الأوراقَ؟ ولِمَ يواظبُ على نقلِها طيلةَ النهارِ؟

ذكرُ النَّملِ: إنَّهُ يحتاجُ إليها في الزّراعةِ، فهوَ يستعملُها لِزراعةِ الفطرِ. فالنملُ غيرُ قادرٍ على أكلِ هذهِ الأوراقِ. لِذا ينشئُ النملُ القاطعُ كومةً مِنْ هذهِ الأوراقِ بعدَ مَضغِها ثمَّ يضعُها في غرفٍ تحتَ الأرضِ داخلَ أعشاشه. في هذهِ الغرفِ يزرعُ النملُ الفطرَ على الأوراقِ لِيحصلَ على طعامه منَ الجذوعِ الصّغيرةِ للفطرِ النّابتِ.



لا بدَّ أنَّكَ تتساءلُ كيفَ يمكنُ لِتلكَ الحشراتِ الصّغيرةِ أنْ تُحقّقَ معجزاتٍ كَهذهِ بأنفسِها؟

عمرُ: أجلْ، أنا أحاولُ بالفعلِ أنْ أفهمَ كيفَ يمكنُ للنمل أنْ يقومَ بِهذهِ الأعمالِ الصّعبةِ. فَلَوْ طلبْتَ منّي مثلاً أنْ أزرعَ الفطرَ، لنْ يكونَ عملاً سهلاً على الإطلاقِ بالنسبةِ إليَّ. لا بلْ سيتوجّبُ عليَّ قراءةَ بعضَ الكتبِ أوِ استشارةَ خبراءَ في هذا المجالِ. ولكنّني أعرفُ بأنَّ النَّملَ القاطعَ لا يتلقّى تدريباً مماثلاً.

فقدْ أصبحْتُ أفهمُ مصدرَ الموهبةِ التي تتمتّعُ بِها أنتَ وأصدقاؤكَ منَ النملِ. فالنملُ مبرمجٌ لِيقومَ بأعمالِه.



فالنَّملُ القاطعُ مثلاً يعرفُ منذُ ولادتِهِ مبادئَ الزّراعةِ. وبالطبعِ، فإنَّ اللهَ تعالى، خالقَ كلِّ شيءٍ في هذا الكونِ، هوَ الذي أنعمَ على النَّملِ القاطعِ بهذهِ القدرةِ. وهوَ الذي خلقَكَ أنتَ وأصدقاءَكَ على تلكَ الصورةِ الرائعةِ.

ذكرُ النَّمل: أنتَ على حقٍّ. فَنحنُ نعرفُ هذهِ الأمورِ غريزيّاً. وتلكَ نعمةٌ منَ اللهِ تعالى الذي خلقَنا.



تأخّرَ عمرُ ثانيةً على مدرستِهِ. فَشكرَ صديقَهُ وغادرَ الحديقةَ. وفي طريقِهِ، بَقِيَتْ أصداءُ ما حدّثَهُ بِهِ ذكرُ النَّملِ تتردّدُ في أذُنيهِ، فاستمرَّ بالتّفكيرِ.

إنَّ الأعمالَ الباهرةَ التي يقومُ بِها النملُ تنبعُ مِنْ حكمةٍ عظيمةٍ، لا يمكنُ أنْ تصدرَ عنِ النملِ نفسِهِ، فَهو بالنّهايةِ مجرّدُ حشراتٍ بالغةِ الصّغرِ. وبالتّالي فإنَّ جميعَ أعمالِها تُبَيِّنُ لِلإنسانِ حكمةَ اللهِ عزَّ وجلَّ، الذي جعلَ تلكَ المخلوقاتِ الضّعيفةَ تتولّى أعمالاً ما كانَ لَها أنْ تصدرَ عنْ حكمتِها وإرادتِها هيَ وذلكَ لِكيْ يُظهرَ لَنا جلالَهُ وجمالَ خَلقِهِ.

وَيدينُ صديقُهُ بحكمتِهِ الفطريّةِ ومهارتِهِ وميلِهِ الطّبيعيِّ إلى التّضحيةِ بالذّاتِ لقدرةِ اللهِ تعالَى، وكلُّ أعمالِهِ تدلُّ على قدرةِ اللهِ وحكمتِهِ.

وفيما كانَتْ هذهِ الأفكارُ تجولُ في بـالِـهِ، أدركَ بـأنَّ نـظرتَـهُ إلى بعضِ الأمورِ التي تخيّلَها بشكلٍ مختلفٍ في السابقِ تغيّرتِ الآنَ. فَقَدْ أدركَ ثانيةً أنَّ ما سمعَهُ عنْ مجيءِ الكائناتِ الحيّةِ صدفةً إلى الوجودِ وأنَّها اكتسبَتْ مهاراتِها صدفةً معَ مرورِ الزّمنِ ليسَتْ سوى أكاذيبَ. فكيفَ يمكنُ لِهذهِ الأقاويلِ أنْ تكونَ حقيقيّةً؟ ولو انَّ الصّدفةَ هيَ سببُ وجودِها، فكيف قُدِّرَ لهذا النمل أنْ "يتحدّثَ" معَ بعضِه بعضاً بِهذهِ الصّورةِ المذهلةِ، وَأنْ تتواصلَ بِنظامٍ بالغِ الدّقّةِ وتبنِيَ أعشاشاً مُتْقَنَةً؟ مِنْ ناحيةٍ أخرى، وحتّى وَلوْ أتَتْ هذا النملُ إلى العالمِ صدفةً وعاشَ لِكيْ يحميَ نفسَهُ وَحسبُ، فَكيفَ لَه أنْ يبذلَ هذهِ التّضحياتِ العظيمةَ لِبعضِه البعضَ؟





النمل يحمل الأوراق التي قطعها.

شغلَتْ هذهِ الأفكارُ ذهنَ عمرَ طيلةَ اليومِ في المدرسةِ. وحينَ عادَ إلى البيتِ في المساءِ، قرّرَ أنْ يقرأَ القرآنَ الكريمَ الذي أنزلَهُ اللهُ إلى النّاسِ جميعاً. وكانَتْ أوّلَ آيةٍ قرأَها هيَ التّاليةُ:

﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿190﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿191﴾﴾ [سورة آل عمران]

لقدِ اقتنعَ تماماً بأنَّ اللهَ وحدَهُ هوَ الذي خلَقَ النمل وخلَقَهُ هوَ وأبوَيْهِ وأخاهُ وكلَّ ما في هذا الكونِ. كما ذكّرَهُ صديقُهُ الصّغيرُ بأهمِّ حقيقةٍ في هذا الكونِ: أنّه لا إله إلا اللهُ.



وأعتقدُ أنَّكُم حينَ تقرأونَ هذهِ السّطورَ ستفهمُونَ هذهِ الحقيقةَ مثلَ عمرَ وتدركُونَ بأنَّ اللهَ هوَ خالقُ كلِّ شيءٍ.

فَإنِ التقَيْتُم مثلَ عمرَ بِصديقٍ جيّدٍ في يومٍ منَ الأيّامِ، لا تنسَوا أبداً أنَّهُ يمكنُكُم أنْ تتعلَّمُوا منْهُ الكثيرَ. ابحثُوا وفكِّرُوا في كمالِ خَلْقِ اللهِ الذي أَوجدَهُ.

